٢ ـ عالم الذباب

بقلم المرحوم الأستاذ معروف الرصافي

يريد الدكتور بهذا الكلام أن الأمر بغمس الذبابة كلها يدل على أن الداء والشفاء موجودان في الجسم كله لا في الجناحين فقط ، وإلا لزم أن يأمر بغمس الجناحين فقط ، فنقول إن الأمر بغمس الذبابة كلها صحيح، ولكنه لم يأمر بذلك إلا لأجل أن يغمس الجناح الذي فيه الشفاء لأن الجناح الثاني والجسم منغمسان في الشراب وهل من المعقول أن يأمر بغمس المغموس ؟

كيف يمكن غمس الأجنحة وحدها حتى يأمر به الرسول ؟ إن غمس الجناحين فقط لا يمكن إلا بصورة واحدة ، وهي أن تلقى الذبابة على ظهرها ، ونمسكها بالمنقاش من يديها ورجليها ، ثم نضعها بدقة وتأن على الشراب حتى ينغمس فيه جناحاها فقط دون سائر جسمها ، ولا ريب أن هذا متعذر بالنسبة إلى سائر الناس ، فكيف يأمر بغمس الأجنحة وحدها كما يقول الدكتور؟

ويقول في عبارته المتقدمة : «مما يدل على أن الداء والشفاء في الجناحين أمر اعتيادي لا يفيد التخصيص والأمر بغمسها يؤيد ذلك ، وهل لأجل تطهير الشراب من الجراثيم وذلك بادخال البكتريوفاج من جسم الذبابة »

يريد الدكتور بعبارته هذه المضطربة أن يفهمنا أن الجناحين إنما ذكرا في الحديث جريا على العادة ، لأن العادة تقضي بوجود الجراثيم المضرة والناقعة في الجناحين أيضا كما توجد في جسم الذبابة ؛ فعبارة الحديث لا تفيد تخصيص الجناحين بالجراثيم ، بل جاء ذكرهما اعتياديا . هذا هو مراد الدكتور من عبارته هذه فنقول :

قد تقدم مايفيد بطلان هذا ، ولكنا نكرره لمزيد الايضاح . إن عبارة الحديث تنص على تخصيص أحد الجناحين بالداء ، والآخر بالشفاء . وبيان ذلك أن الحديث أمر أولا بغمس الذبابة كلها ثم بين سبب الغمس وحكمته بقوله أن في أحد الجناحين داء وفي الآخر شفاء ، وبين أيضا أن الذباب عند وقوعه يتقي بالجناح الذي فيه الداء أي يقدم الجناح الذي فيه الداء فيكون منغمسا في الشراب ويبقى الجناح الثاني الذي فيه الشفاء خارجا غير منغمس. فاذا غمس الذبابة كلها ، انغمر الجناح الثاني الذي فيه الشفاء أيضا، وبذلك تندفع المضرة الحاصلة من انغماس الجناح الأول ولولا تخصيص أحد الجناحين بالشفاء والآخر بالداء لكان الأمر بغمس الذبابة عبثا لأن جسم الذبابة مع أحد جناحيها قد انغمس في الشراب فلو كان الشفاء في الجسم كله لم تبق حاجة إلى الأمر بالغمس

إن هذا المعنى في عبارة الحديث واضح جلي يفهمه كل من سمع الحديث ولو كان اعجميا ، ولكن الدكتور حفظه الله يقول إن عبارة الحديث لا تفيد التخصيص إنما جاء ذكر الجناحين اعتياديا أي جريا على العادة التي تقضي بوجود الجراثيم في الجناحين كوجودها في الجسم ، مع أن العادة تقضي خلاف ذلك، لأن الجناحين يكونان بحكم العادة وبحكم الضرورة أبعد أعضاء الذبابة عن الجراثيم لأنهما لا يباشران المواد التي تقع عليها الذبابة بل يكونان في أعلى الذبابة بعيدين عنها

ولا شك أن أول شيء من الذبابة يباشر المواد التي تقع عليها هو يداها ورجلاها ، ثم بطنها وصدرها ، ثم سائر جسمها، ثم جناحاها إذا كانت المادة التي تقع عليها من السوائل ، ولكن الحديث يقول إن طبيعة الذباب إذا وقع في السوائل أن يقدم الجناح الذي فيه الداء ويؤخر الجناح الذي فيه الشفاء ، فينغمس الأول ويبقى الآخر غير منغمس ، فلذا أمر بغمس الذبابة كلها لكي ينغمس الجناح الذي فيه الشفاء أيضا

إن عبارة الحديث لا يقرب معناها عن فطانة الدكتور ، ولكنه أخذ يتمحل في التوجيه ويتعسف في التفسير لكي يقربها من المعنى الذي يريده هو . إلا أنه رغم هذه التمحلات ، بقي قلق الخاطر ، غير مطمئن الضمير ، لأنه يعلم أن الجناحين أبعد أعضاء الذبابة عن الجراثيم ، فاذا يعمل حتى يجعلها مقرا للجراثيم أكثر من سائر الأعضاء ؟

والظاهر أنه فكر طويلا حتى وجد طريقا إلى حل هذا المشكل فقال : « وبما أن الذبابة تمسح دائما رجليها بأجنحتها ، كانت الأجنحة لذلك مقرا للبكتريوفاج وللجراثيم أكثر من غيرها من أعضاء الذبابة . فلله دره ما اقدره على قلب الحقيقة

بالكلام المجرد . يقول إن الذبابة تمسح رجليها بأجنحتها ، إن الباء في هذه العبارة مثلها في قولهم كتبت بالقلم أي هي للاستعانة ، فالممسوح الرجل . والماسح الذبابة ، والجناح هو آلة ، المسح والظاهر أن المسح يكون بظهر الجناح لا ببطنه ، لأن الذبابة إذا خفضت جناحيها وأزلقتهما إلى ما تحت رجليها ، كان ظهر الجناح تحت الرجل بالطبع ، إذ لا تستطيع الذبابة في هذه الحالة أن تقلب جناحيها إلى حيث يكون باطنهما إلى الأعلى ، وظاهرهما إلى الأسفل . ومهما يكن فجناح الذبابة على هذا أصبح منديلا لما تمسح به رجلها

إن الدكتور قد أثبت للذبابة بهذا القول طبيعة لا يعرفها الناس ، ولم يستند في اثباتها إلى قول على من أقوال علماء الحشرات الذين درسوا حياتها وعرفوا طبائعها وأحوالها ، وقد تكلم هو في الفصل الخامس من رسالته عن خواص الذباب وطباعه ، فلم يذكر فيه شيئا من ذلك

لا يقال إن في عبارة الدكتور قلبا ، وإن أصلها هكذا : إن الذباب يمسح دائما أجنحته بأرجله ، لانا نقول إن رجلي الذبابة وهما في اتجاههما إلى الأسفل معقوفتان إلى الأمام ، وليس في استطاعتها أن ترفع رجلها إلى ما فوق جناحها فتمسحها بها ، ولا أن تخفض جناحيها إلى ما تحت رجلها فتمسحها به إذ ليس ذلك من طبيعة الذباب، فمن المحال عادة وطبعا أن يمسح الذباب أجنحته بأرجله أو أرجله بأجنحته ، وإنما المعروف من طبيعة الذباب من قديم الزمان هو أنه يحك إحدى ذراعيه بالأخرى كما ذكره عنترة في معلقته ، ولم يشاهده أحد يحك إحدى رجليه بالأخرى ؛ ولا يحك بجناحيه رجليه ، وقد شاهدته أنا في بعض الأحيان يمسح وجهه بذراعيه ويمر بهما على رأسه . فمن أين أخذ الدكتور هذا القول عن طبيعة الذباب وكيف تكون أجنحته مقرا للجراثيم أكثر من الأرجل والأيدي التي هي متصلة مباشرة بالمواد التي يقع عليها الذباب

والمشهور عن الذباب أنه ينقل الجراثيم بأرجله وبأيديه ، لا بأجنحته ، والدكتور نفسه قد ذكر ذلك في رسالته فقال في الصفحة (٤٤) : « وعلاوة على ذلك تنقل الذبابة الجراثيم برجليها ويديها المكسوة بالشعر » ثم قال « ومما يجدر بيانه هو أن قدمي الذبابة وكفيها تشبهان خف البعير ، عليهما شيء يشبه الشعر أو الوبر ، وهذه تفرز افرازات لزجة فتلتصق الجراثيم عليها وتستطيع الذبابة بهذه المادة اللزجة وبفضل هذا الخف ، أن تقف على السقوف والجدران بأي وضع شاءت »

وعليه فإذا كانت أيدي الذباب وأرجله كما يقول الدكتور تفرز مادة لزجة ؛ وعليها شيء يشبه الشعر أو الوبر ، كانت بلاريب مقرا للجراثيم أكثر من سائر أعضائها ، لذلك ، ولأنها أول ما يباشر الأقذار التي عليها الذباب فكيف تكون الأجنحة مقرا للجراثيم أكثر من أيديها وأرجلها ؟ سؤالان ، هل البكتريوفاج موجود في الذباب دائما وأبدا ؟ وهل هو شاف لجميع الأمراض ؟

نريد أن نجيب على هذين السؤالين بما علمناه وفهمناه من كلام الدكتور في رسالته ، لأننا لسنا من أهل هذا الفن ، ورحم الله امرأ عرف قدره ، ولم يتعد طوره ، فلذا نرجو من القارىء أن يقرأ أولا ما كتبه الدكتور في هذا الباب خاصة في الفصل الحادي عشر من رسالته ثم ينظر فيما نقوله هنا ، ويحكم بما شاء

الكلام بقية

معروف الرصافي

مينا

المسرحية الشعرية

الفائزة بالمدالية الذهبية لتأليف المسرحي في المهرجان الأدبي الفني لوزارة المعارف سنة ١٩٤٨

في فصلين

تأليف

محمد محمود زيتونه

الوحدة القومية — الأناشيد الحماسية — الروعة التاريخية — اليقظة الشعبية — المسرحية المصرية

هذه هي « مينا » — الثمن خمسة قروش —

تطلب من المؤلف

بعنوان : مدرسة دمنهور الثانوية

٣٨٠١١